سراييــفو

الدكتور عدنان علي رضا النحوي (❖)

أَطلِّي «سَـرَاييـفـو» عَلَيْنَا بِدَفْـقَـةٍ ... مِنَ النُّورِ أَو دَفْقٍ مِنَ العِطْرِ والدَّمِ
أَطلِّي «سـراييفو» عَلَينا بِصَيْـحَةٍ ... تُدَوِّي وهُـزِّي مِن غُـــفـــاةٍ ونُوَّمِ
أَطلِّي على الدُّنيا سَنَا الفجْرِ دُونَهُ ... دَيَاجِيـرُ مَاجَتْ فوقَ سَاحٍ ومَـعْلَمِ
طَلَعْتِ على الدُّنيا وَوَجْهُكِ مُشرقٌ ... وعَـهْـدُكِ مِيـثـاقُ الكَمِيِّ المصَـمِّمِ
فَتُنْمِي غِـراسَ الحَقِّ بَيْـن مَجَـازِرٍ ... وتُحْيِي مِنَ الأَعْـرَاسِ في كلّ مـأتَمِ
وتُعطي إلى الإنْسَـانِ جَوْهَرَ عِـزِّهِ ... إِباءً وإِيمانَاً وجَـــولةَ مُـــسْلِمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

رَمَـاكِ عَـدُوُّ الله فـانْتَـفَـضَتْ له ... عَــزَائِمُ خَطّارٍ وَوَثْبَــةُ ضَـيــغَمِ
أَرادُوكِ للمـــوتِ الذّليلِ فَلَمْ يَهُنْ ... إِباؤُكِ أو اهتَـزَّتْ رُبَاكِ فـأَقْـدمي
فأَرْضُـيكِ مِيـلادُ الحَيـاةَ تَفَتَّـحَتْ ... ورودًا تُـرَوَّى من كُـبـــودٍ وعَنْدَمِ
يَصُبُّ بِهَـا التّـاريخ حُـرَّ دمـائِهِ ... وفـاءً لدينٍ صَادقِ العَـهْـدِ مُلْزِمِ
فـتـعـبِقُ أزمـانٌ بِطيبِ أريجِـهـا ... وتعـبِقُ سَـاحَـاتٌ بِجَـولةِ مُـعْلَمِ
تُعيد على السّاحَاتِ زَهْوَ جِهادِهِ ... وتَرْوِي مَعَ الأَيَّامِ قِـصَّـةَ مُـجْـرِمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

أَغارَتْ وُحُوشُ الأَرْضِ لِيا لزحُوفها ... وَيَـا لِهـــــلاكٍ بَيْـنَ ذئبٍ وأَرْقَـمِ
تدَافَعُ أَرْتَالُ الجَـحـيـمِ تَدُكُّـهَـا ... جُنُونَ لهـيبٍ قـاصفٍ ومُـدَمْـدِمِ
تَزَاحَمُ في عَرْضِ السّماءِ قَذَائِفٌ ... مِنَ الموتِ تَهْـوِي بالفَنَاءِ المحـتَّمِ
كأنَّ قَضَـاءَ الله يَهوِي على الثرى ... ويُطْبِقِ، يا وَيحي، على كُلِّ مَـعْلَمِ

(❖) الدكتور عدنان علي رضا النحوي: ولد في صفد بفلسطين عام ١٩٢٨م، وحصل على الدكتوراه في الهندسة الكهربائية عام ١٩٨٥، له عدة مؤلفات إسلامية ودواوين شعرية.

تَطَايَرُ أَشْلاءُ وتُلقَى جَمَاجِمٌ ... وتُطلَقُ أَنْهَارٌ تَدَفّقُ بالدَّمِ
فكم من صبِيٍّ في نَضَارَة عُمْرِه ... تمزَّقَ! لم يأثَمْ ولمْ يَتَنَعَّمِ
وكم من عجوز لم تَرُعْه هُمومَه ... فراعَتْه أَهْوَالُ العدوِّ المُلطَمِ
وكم كاعِبٍ ردَّتْ عَلَى الطهْر خدرَها ... تناش بِوَحْشٍ مُجْرِمِ الطَّبْعِ مُدْعِمِ
تَلَفَّتُ لِلآفَاقِ عَلَّ حُمَاتَهَا ... يُطلّون من أفْقٍ هنالك مُظلمِ
تَلَفَّتُ! أَيْنَ المُسْلِمونَ وَأَيْنَ ما ... دَعَوا من شِعارات الوَفَاءِ المُرَجَّمِ
فَرَدَّتْ على الذلِّ المروِّع طَرْفَها ... وطوَّتْ عَلَى الأَحْناءِ غُصَّة أَيِّمِ
وأَهْوَتْ عَلَى وَحلٍ! وأَطبق فَوْقَها ... ذِئابٌ! ودارت قِصَّةٌ لمْ تُتَمَّمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

وطِفْلٍ يَكَادُ الهَوْلُ يُطْلِقُ صَوْتَهُ ... أَغيثُوا بَنِي الإِسْلاَمِ عِرْضي ومَحْرَمي
تَلَفَّتَ كيْ يَلقَى أَبَاه مُضَرَّجاً ... تَهَاوَى على سَيْلِ الرّصاص المُدَمْدِمِ
تَدَفَّقَ مِسْكٌ مِنْ عُروقٍ وأَضْلُعٍ ... وظلَّ حَنَانٍ من عُيونٍ ومِنْ فَمِ
وَأُمّاً يَدَاها مُدَّتا كيْ تَضُمَّهُ ... فَعَاجَلَها قَصْفُ اللَّهيبِ المُضَرَّمِ
قَضَتْ ويَدَاها لم تَزالا كأَنَّها ... دُعاءٌ إلى مَولىً أَبَرَّ وَأَرْحَمِ
عَلَى شَفَتَيْهَا تَمتَماتٌ كَأَنَّما ... طَوَاها الرَّدَى عَنّا فَلَمْ تَتَكلَّمِ
ولكن تَلقَّتْهَا القُلُوبُ وأَطْلَقَتْ ... صَدَاها عَلَى الآفاقِ غَضْبَةُ مسلمِ
وَفَاضَتْ عَلَى عَيْنَيْه حُرْقَةُ أَدْمُعٍ ... وَمَاجَتْ عَلَى خَدَّيْه أَشْجَانُ يُتَّمِ
وأَطْلَقَ عَيْنَيه تَدُورُ مَعَ المَدَى ... على فَزَعٍ أَو حَيْرَةٍ أَو تَوَهُّمِ
نَلغَّتَ والآفَاقُ جُنَّتْ وَفُتِّحَتْ ... عَلَى لَهَبٍ مِنْ وقْدِها المُتَضَرِّمِ
فَمَا رَاعَه إلاَّ طَلائِعُ عُصْبَةٍ ... وَوَثْبَةُ وَحْشٍ هَائِجِ الطّبْعِ أَيْهَمِ[1]
فَصَعَّدَ فيه ناظِرَيه: فَكفُّهُ ... بَرِيقُ شِفَارٍ لَمْ تَجِفَّ من الدَّمِ
وفي وَجْهِه شيءٌ كَأَنَّ سَوَادَهُ ... بَرَاكِينُ حِقْدٍ فَجَّرَتْ قَلْبَ غَيْهَمِ[2]

(١) أَيْهَم : من لاعقل له ولافهم.
(٢) الغيهم : الظُّلْمَة.

تَلاقَتْ إذنْ عَيْنَاهُما: عِزُّ مُسْلِمٍ ... صَبِيٍّ وذلُّ الفاجِرِ المُتَجَهِّمِ
فنادَتْهُ عيناهُ! فَيَا لِنِدائِهِ ... بَرَاءَةَ طِفْلٍ تسْتَغيثُ وتحْتَمي
ويا لِنَداءٍ لَوْ أَصَابَ حِجَارَةً ... لَلاَنَتْ لَه مِنْ صِدْقِهِ والتَّوَسُّمِ
ونادَى نِداءَ المُسْتَغِيثِ! فَحزَّهُ ... وأَلْقَاهُ أَشْلاءَ الإباءِ المُحَطَّمِ
وغابَ نِداءُ الطِّفلِ بينَ زَمازِمٍ ... تُدَوِّي وموجٍ زَاحِفٍ مُتقدِّمِ
وَدُكَّتْ بُيوتُ الله! يا وَيْلَ كافِرٍ ... إذا ما تَوَلاهُ سَوَاءُ جَهَنَّمِ
وَيَا وَيْلَ من يَلْهُو وَيَتْرُكُ أُمَّةً ... تُبَادُ ويَغْفُو في هواهُ وَيَرْتَمي
ستمضي عَلَيْهِمْ سُنَّةُ الله آيَةً ... فَتُلْقِيهِ في لَيْلٍ من الشَرِّ أشأمِ
وتَفْضَح مِنْ غَدرٍ طوَاه مُنَافِقٌ ... شَقِيٌّ ومَن كَيْدٍ أَشَدَّ مُكتَّمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

هُنا يُسْحَقُ الإنسان! تَهْوِي شَوَامِخٌ ... مِنَ الخيرِ أَطْلاَلَ البناءِ المُهَدَّمِ
هُنا يُهزَم المسْتَكْبِرونَ بِظُلمِهِمْ ... وَلَوْ فَتَحوا داراً وَفَازُوا بِمَغْنَمِ
تُمَحَّصُ في هذا البَلاءِ حَضَارَةٌ ... لِيُكْشَفَ زَيْفٌ من شِعَارٍ ومَزْعَمِ
وتُشْرِقُ في قَلْبِ الدَّيَاجِيرِ عصبةٌ ... بِكُلِّ تَقِيٍّ مُقْبِلٍ غَيرِ مُحجِمِ
يَدُقُّونَ أَبوابَ الجِنَانِ تَزَاحَموا ... عَلَيْها وشَوقٌ قَدْ ألحَّ بهم ظَمي
أُولئك يَبْنُون الحَضَارَةَ والنُّهَى ... ويُعْلُون مِنْ مَجْدٍ عَلَى الدَّهرِ مُلْهِمِ
ومُسْتَكْبِرٍ في الأَرضِ جُنَّ جُنونُهُ ... وأَفْرَغ من حِقْدٍ كريهٍ مُذَمَّمِ
وكَيدِ عِصَابات تَوَارَتْ وراءَهُ ... تَمُدُّ يَداً تُغْنِيه إنْ ضاقَ أو رُمي
وقالوا «نظامٌ عالميٌّ» يَصُونُها ... وَقَدْ كَذَبُوا وَالله! يا هَوْلَ مأثَمِ!
لقد كَان بالأمس القَرِيبِ مُدَوِّياً ... عَنِيداً بِمكْرٍ ظاهرِ الكَيْدِ مُحْكَمِ
فما باله أَضْحَى هُنا أَبْكَماً وَعَنْ ... جرائِمِ أَهْلِ الضِّرْبِ لاهٍ بهَا عَمِ
وسَكَّرت الدُّنيا العُيُونَ فَلَمْ تَعُدْ ... تَرَى غيرَ أَعمى أَو أَصَمَّ وأَبْكَمِ

عـصَـاباتُ إجْـرامٍ تَدُورُ بِمَكْرِها مَعَ اللَّيْلِ أَشـتـاتَ الهـوى المُتَـوَهِّمِ
يَظُنُّون أَنَّ اللَّيلَ بَاقٍ ومَـــا دَرَوْا بأنَّ على الآفَـاقِ إشْـرَاق مُـسْلِمِ
يَشُقُّ الدُّجَى نُوراً ويَطْرَحُ ظُلْمَـةً عَنِ النّاسِ في فَـجْـرٍ أَطلَّ مُـوَسَّمِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖